

نزار بريك هنيدي

الرحيل نحو الصفير

- شعر -

منشورات اتحاد الكتاب العرب
١٩٩٨

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

تصميم الغلاف للفنان: جليدان
الجاسم

حينما ألفظ كلمة (المستقبل)
يغادر المقطع الأول تماماً إلى الماضي.
حينما ألفظ كلمة (السكون)
أحطمها
حينما ألفظ كلمة (لاشيء)
أخلق شيئاً ما
لا ينضوي في أي عدم

فيسو افا شيمبورسكا
شاعرة بولندا الفائزة بجائزة
نوبل للآداب

١٩٩٦



مقدمة

:

.

.

.

.

.

.

-

.

.

- ٦ -

■

|| ||

|| ||

■

■

■ ||

11

— V —

■

11

11

■

11

||

1

11

11

•

11

11

||

|| || ■
■

11

11

•
" "

•

" "

" "

•

!

" "

"

•

-) , -

•

•

" "

" "

•

" "

" "

•

• " "

- 11 -

“ ” “ ”
“ ”
“ ”
“ ”
“ ”

：

"

"

.

"

"

.

"

"

- ۱۳ -



منمنمات

الصوت

عندما ينغرسُ الصَوْتُ
عميقاً
بين أضلاع المدى
ما الذي يبقى
من الأوهام
كي ترعاه قطعانُ الصدى

السنديانة

للريح أغنيتي
وقلبي للضباب
يا سنديانة
لم أحن عهدَ الهوى
لكنه
زمن الرحيل
إلى السراب.

شارع

شارعُ طالَ
حتى ثَمَّاهَتْ بهِ
قَدَمَايَ
ولَمَّا بَلَغْتُ نَهايتَهُ
لَمْ يَعدْ لي
سوى الرأسِ
أَمْشي عليه

شراره

وَشَوَّشَتَنِي ديمَةٌ
أَرُخْتُ عَلَى نافذةِ القلبِ الستارَ
لا تُرقِ ضوءَكَ
في أحضانِ ليلي
جَسَدِي واهِ
وتكفيه
شراره.

الزرقعة

لا يحبُّ البحرَ
أَمْضَى عَمْرَه
في الطرقاتِ البائسةِ
عندما هاجَ بهِ الشوقُ

إلى زرقَة عينيها
تملّى
لو تزول اليايسة.

صورة

ضَبَّعَتْ صورَتَها
حينَ أعتراها الحبُّ
قربَ المنحدرِ
عندما عادتُ لكي تبحثَ عنها
فَاجَأَتْها
بين أحضان القمرِ.

حريق

مرَّتِ الحلوَةُ
وَأنداحَ العَبَقُ
خجلَ الورْدُ
وَعَطَّتْ وجهها الشمسُ
بسترٍ من دخانٍ
راحَ يصَّاعِدُ
من شباكِ بيتٍ
فيه قلبٌ يحترقُ

الموج

لا يجيدُ العَوَمَ في اليمِّ
ولكنْ
حينما ألقوه فيه

كانَ في عينيهِ أشجارٌ
وبيتٌ
ووجوهٌ لم تزلْ ترنو إليه
تَمَلَّ الموجُ
بما فاضتْ به العينانِ
من حبٍّ
فأحنى رأسه
بين يديه.

الروح

بحبالٍ مِنْ مَسَدٍ
رَبَطُوا مركبةَ الروحِ
وجَرُّوها
بعيداً
عن تباريحِ الجَسَدِ

الجدار

كُوَّةٌ فِي الْجِدَارِ
قَالَ تَصْلُحُ كَيْ أَتَخَبَّأُ فِيهَا
إِلَى أَنْ يَحِلَّ النَّهَارُ
عِنْدَمَا بَزَعَ الْفَجْرُ
كَانَ رِكَامُ الْحِجَارَةِ
يُخْفِي الْبَقَايَا الَّتِي
تَتَحَلَّلُ
فِي عَفْنِ الْإِنْتِظَارِ.

كمين

نَصَبُوا لِلوَرْدِ كَمِينَ
طَلَبُوا
أَنْ يَبْتَئِسَ الْوَرْدُ الْمَصْفُوفُ
عَلَى أَسْوَارِ الْقَصْرِ
أَمَامَ جِهَازِ التَّصْوِيرِ الْفُورِيِّ
وَلَكِنْ
فِي الصُّورَةِ
لَمْ يَظْهَرْ
غَيْرُ السَّكِينِ.

الإعصار

عَصْفُورٌ

رَفَّ عَلَى الشَّبَاكِ
وَطَارُ
وَالْوَرْدَةُ
تَغْسِلُ أَثَارَ الشَّهَقَاتِ
وَتَنْتَظِرُ الْإِعْصَارُ

رسالة

لَمْ يُطْفِئِ الْمَصْبَاحَ
كَانَ يَخَافُ أَنْ يَبْقَى وَحِيداً
فِي الظَّلَامِ
قَرَأَ الرِّسَالَةَ مِنْ جَدِيدٍ
ثُمَّ قَبْلَ صُورَةٍ مَرْكُونَةٍ
قَرَبَ الْمَخْدَةَ
ثُمَّ..
مَا هِيَ غَيْرُ حَشْرَجَةٍ
وَنَامَ.

الينبوع

بَعْدَ أَنْ جَفَّتْ مَآقِيهِ
سَدَى
سَارَ يَنْبِوْعٌ عَلَى الْأَشْوَاكِ
لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ سِوَى
أَنْ يَنْقُلَ الرُّوْيَا
إِلَى قَلْبِ النَّدَى

ندم

سألتني الجفونُ
لماذا هَوَيْتَ
إلى قاع وادي الهوى
ثمّ لم تتعلّق بمخلّبٍ نسرٍ
يعيدُكَ نحو القممِ
قلتُ رُوحِي ربيبةٌ قلبي
ولا يزهرُ القلبُ
تحت غيوم الندمِ.

صعود

قالتِ السنبلةُ
كان يمكن أن تحنيَ الرأسَ
حتى تمرَّ العواصفُ
والرملُ قالَ
لماذا تجرّأتَ أن تتحدّى السيولَ
وقالَ الجدارُ
أما كان يمكن أن تتدبّرَ بالصمتِ
لكنني
لم أجبهمُ
وتابعتُ وحدي الصعودَ
إلى الجلجلة.

الشرنقه

في الدروبِ الضيقه
قادَ نَجْمَ العمرِ
كي ينسلَ أحلامَ صباهُ
من خيوطِ الشرنقه.

عش

لم يُثعبها الجسدُ المَجبولُ
على الترحالِ الدائمِ
في الأفقِ المفتوحِ
لكنْ
لابدَّ أخيراً
من عشٍّ
للروحِ

هلاك

زارني- ذاتَ وجَدٍ- ملكٌ
قالَ لي
كلُّ من سارَ مرتدياً
جُبَّةَ الشكِّ
فهو حبيبي
ومن نامَ

فوق بساط اليقين
هلك.

النهر

وَصَلَ النهرُ إلى بستاننا
خالي الوفاضُ
سَقَطَتْ تَفَاحَةٌ فِيهِ
فَقَاضُ.

بوح

وَمِنْ بَعْدِ أَنْ جُبْتُ أَقْصَى الْبَحَارِ
وَمَرَّتْ خِيُولِي
عَلَى كُلِّ أَرْضٍ
سَأَكْسُرُ وَهَجَ الْمَرَايَا
وَأَصْغِي
إِلَى بُوْحِ نَبْضِي



الرحيل نحو الصففر

- ١ -

غَيْمَةٌ رَاحَتْ تُجْرُ الرِّيحَ
مَا لِلْوَقْتِ يِقْتَاتُ الْحَصَى
أَيْنَ طَرِيقُ الْقَلْبِ
هَلْ ضَيَّعْتَ أَشْيَاءَكَ
مَهْلًا
هَذِهِ النُّجْمَةُ كَانَتْ
بَيْنَ كَفَّيْكَ
فَقَرَّتْ
وَاسْتَقَرَّتْ فِي الْفَضَاءِ
ذَلِكَ الدَّرْبُ الَّذِي يَعْبُرُ خَصَرَ الْكَوْنِ
مَحْفُورًا
كَجَرَحِ أَبْدِيٍّ
كَانَ يَوْمًا مَسْرَبَ الْأَحْلَامِ
مِنْ شَبَاكِكَ الْمَعْتَمِ
نَحْوَ الْأَفْقِ الْمَفْضِيِّ إِلَى مَمْلَكَةِ السَّحَرِ
وَيَنْبُوعِ الضِّيَاءِ

- ٢٨ -

- ٢ -

لا تُسَلِّ كيفَ توارى
في ضبابِ الوجْدِ
وأنسابَ على أجنحةِ التهويمِ
مفتوناً
بأصداءِ بلا صوتٍ
ومأخوذاً
بتلويحِ ظلالٍ دونَ جسمٍ
تتهادى وحدَها
في ملكوتٍ
دونَ أرضٍ أو سماءٍ
نَعْمَةٌ
طَيَّرَها الغيبُ إليه
أُنشِيتُ أسرارَها في روحِهِ
فأرتاعَ
حتى غابَ في دَوَامَةِ الحَالِ
وشدَّتهُ هُنيْهَاتُ انتشاءٍ
نحو بَوَابَةِ رؤيا
أذهلَّتهُ بانكشافاتِ البَهَاءِ

- ٣ -

ليسَ حزناً مايعانيهِ

- ٢٩ -

فما للحزن من دربٍ
إليه
ليسَ دمعاً ما غَشَى عَينيه
حينَ اندَغَمَتُ
في بعضِها الأشكالُ
وأنسأحتُ
فما من طللٍ يبكي عليه
ليسَ عشقاً
ليسَ تفريجاً لغصَّاتِ الجوى
فالحبُّ دوماً
كان إبريقاً من البهجة مملوءاً
لديه

- ٤ -

ليسَ يأساً
أو ندَمُ
ليسَ شكوى من ألمٍ
ليسَ غوصاً في خضمِّ البحثِ
عن معنى وجودٍ
أو عدَمٍ
ليسَ لا
ماذا إذنْ
لا

- ٣٠ -

لا تَسْأَلُهُ
هو لا يعرفُ ماذا حلَّ فيه

- ٥ -

كانَ مبهوراً
فلم يُدركْ تفاصيلَ الطريقِ
دَخَلَ المشهدَ
فانحَلَّتْ كثافاتُ خلاياهُ
وراحَ الجوهرُ المكنونُ فيها
يَتَلَطَّى
في أتونِ
من عَقِيقٍ
غَمَرَتْهُ غبطةُ العودةِ
نحو الأصلِ
حتَّى ذابَ في الأشياءِ
والأشياءُ راحتْ تتلاشى
في سديمِ هائمٍ
بين التماعاتِ البروقِ

- ٦ -

لم يَعُدْ في الكونِ شيءٌ
غيرُ أمواجِ أثيرٍ
تتجلَّى
في ارتعاشاتِ النَعَمِ

- ٣١ -

وتواری كلُّ ما كانَ من الأعدادِ
إلا مُفَرَّدٌ
لا یَقْبِلُ القسمةَ والجمعَ
ولا أسَّ له
لم یبتدئْ فی زمن
لا ینتهی فی زمن
منهُ الذی یأتی
وما سوفَ
ومنهُ
ما أتى منذُ القَدَمِ

-۷-

دَخَلَتْ فی ضدِّها الأشياءُ
مَنْ ذا یعرفُ الضدَّ
إذا غابَ المسمی
خرجت من لیلها الأحلامُ
واستلقتْ
على مصطبةِ الفجرِ المدمی
عادتِ الرؤیا
إلى مكنها السریّ
تجلو جسمها الواهنَ
فی نبعِ النبوءاتِ
وتمحو
ما اعتراها من فصامٍ

- ۳۲ -

تفتَحُ الأبوابَ
كي ينطلقَ الحبُّ
إلى أعلى الذرا
تحضنُ نرفَ الشوق
كي ينبثقَ الوردُ
ويخضرَ الكلامُ

- ٨ -

انتشَرتْ في المادّة الروحُ
وصارتْ للأحاسيسِ جِسمٌ
وكيانٌ حاضرٌ
في اللامكانِ
صعدَ الأسفلُ للأعلى
أضمحلَّ الإرتفاعُ
امتزجتْ في قطرةٍ واحدةٍ
كلُّ الجهاتِ
انصهرَ الأمسُ بنارِ الغدِ
والإثنانِ صارا
من نسيجِ (الآن)
وأنهدَّ الزمانُ

- ٣٣ -

- ٩ -

هل هي العودة نحو الصفر
لا
بل ربّما كانت رحيلاً
نحو أقصى نقطة
تسعى إليها الكائنات
هي شيء يشبه الموت إذن
لا
إنّها لبّ الحياة

- ١٠ -

غَيَمَةٌ كانت تَجْرُ الرياحَ
عادَ الوقتُ يقتات الحصى
أينَ تَرَكْتَ القلبَ
هل ضَيَّعْتَ أشياءك
ما الجدوى إذن
لا
لا تَسْأَلْهُ
ربّما يستيقظُ الآنَ
فتغفوا الكلمات.

- ٣٤ -



مدارات الوصل

- ١ -

خائضاً لجة الفصل
يعصفُ في داخلي
شَغَفُ الوصل
أفردُ أجنحتي
فوقَ غمرِ الهواجس
مُندفعاً
نحو قنّة رؤيا
تَيَقَّنْتُ أَنَّكَ فِي فِيئِهَا
تَتَسُجِّبِينَ مَلَامِحَ وجهي
وما مرّ في خاطري
أَنْ أَكُونَ بغير ملامح
حَتَّى تَعَرَّبْتُ عَنْ جسدي
فَرَأَيْتُكَ
أبعدَ من رَقّة القلبِ
أقربَ من قَلْق الروحِ
أعمقَ من هَزّة الخلقِ
فِي بُرْهَةِ الإبتداءِ
كنتُ مثلاً الهلام الذي
لم يجدْ حَيِّزاً
من فضاءٍ
بينما أنتِ كامنّة
في هيولى العناصرِ

- ٣٨ -

وَهَجُ حُضُورِكَ يَنْضَحُ
مِنْ كُلِّ مَا يَنْجَلِي الْوُجُودُ بِهِ
نَسَمَاتُ الْعَشِيَّاتِ تَحْمِلُ دِفْئَكَ
صَوْتُكَ مُنْذَغَمٌ
بِخَرِيرِ الْجَدَاوِلِ
مَلَمَسُ جِلْدِكَ يَنْقُلُهُ الْبَذَرُ
فِي ضَوْئِهِ
وَالْبَرَارِي
تَدِينُ بِأَنْفَاسِهَا
لِلْهَاتِكِ
فِي ذُرُوعِ الْإِنْتِشَاءِ

هكذا
هكذا رُحْتُ أَدْرِكُ
أَنِي الْوَحِيدُ الَّذِي
خَلَقْتُهُ الْحَيَاءُ
عَلَى شَاطِئِ
مِنْ هَبَاءِ

- ٢ -

عِنْدَمَا رَجَفَ الْمَاءُ
فَنَشْتٌ عَنْ نَوَاسِ
لَمْ أَجِدْ
غَيْرَ طَيْفِكَ
عِنْدَمَا ارْتَعَدَ اللَّيْلُ
أَسْرَجْتُ قَلْبِي
وَوَغِمْتُ نَحْوَ الْأَقَاصِي
وَلَمَّا بَلَغْتُ الْمَشَارِفَ

- ٣٩ -

أَدْرَكْتُ
أَنَّ الدُّرُوبَ جَمِيعاً
تَسِيرُ
عَلَى حَدِّ سَيْفِكَ

عِنْدَمَا النَّهْمُ الْبَرْدُ
آخِرَ أَشْلَاءِ نَارِي
مَدَدْتُ يَدِي
أَسْتَمِدُّ بَقِيَّةَ دَفْعٍ
وَلَكِنَهَا
لَمْ تَلَامَسْ سَوَى
نَبْضِ جَمْرِكَ
عِنْدَمَا قُلْتُ
حَانَتْ نَهَايَةُ أُسْطُورَتِي
لَمْ يَعِدْ بِي
إِلَى بَهْجَةِ الْبَدْءِ
إِلَّا تَفْتُحْ زَهْرَكَ

هَآ أَنَا الْآنَ أُخْرِجُ
مِنْ لَجَّةِ الْفَصْلِ
مَرْتَدِياً جَسَدِي
سَابِحاً
فِي مَدَارَاتِ وَصْلِكَ
نَازِعاً حُجُبِي
كَاشِفاً
سِرَّ عَقْمِ الْمَرَايَا الَّتِي
لَمْ تُعَمِّدْ بِظِلِّكَ
لَا بَقَاءَ لَكَيْنُونَةٍ

لم تُعرِّشْ
على سورِ حَقْلِكَ

- ٣ -

ربِّمَا خُلِقَ الْكَوْنُ
مِنْ شَهْفَةٍ
فَطَرَتْ كَبِدَ الْعَدَمِ
ربِّمَا لَمَعَ الشَّوْقُ
فِي مُقْلَةٍ
فَتَلَّأَى فِي أَفْقِ الْغَيْبِ
بَرْقٌ
تَشْتَطِّي نَجُوماً
تَضُخُّ الْخُصُوبَةَ
فِي السُّدُمِ
ربِّمَا اخْتَلَجَتْ شَفَاةُ
فَأَنْتَشَى فِي الْفِرَاقِ
أَثِيرٌ
وَرَا حَ يُرْقِصُ أُمُوجُهُ
فِي دَمِي
ربِّمَا
ذَاتَ حَبٍّ
تَعْرِقُ نَهْدٌ
فَبَلَّلَ وَجْهَ السَّمَاءِ الَّتِي
حَبَّأَتْ
عُرْيَهَا
فِي فَمِي
ربِّمَا كَانَ عَشْفُكَ
قَبْلَ الْخَلِيقَةِ

- ٤١ -

طِيناً
تَكُونْتُ مِنْهُ
فَكَيْفَ أَعِيشُ بِغَيْرِ الْهُوَى
وَكَيْانِي
إِلَى طِينِهِ
يَنْتَمِي.



السيرة الزرقاء

مقدمة

بدأت الحياة من البحر
والبحر أزرق
وينتهي الكون في السماء
والسماء زرقاء
لنار قلب أزرق
وللنور هالة زرقاء
للحبيبة عينان زرقاوان
وللعاشق حلم أزرق
عروق الجسد زرقاء
وحبر الكتابة أزرق.

- ١ -

في ليل الماء
هَمَسَتْ أَطْيَافُ الْأَزْرَقِ
كَيْفَ غَفَوْتَ
وَقَلْبُكَ مَنْدُورٌ لِلرَّعْشَةِ
فِي وَضَحِ الْأَشْيَاءِ
كَيْفَ خَلَعْتَ سَمَاءَكَ

- ٤٥ -

ثم لبست الرملَ
لتسجدَ
في كهفِ الأصداءِ
مَنْ غَرَّرَ بالجمرِ المتوهِّجِ
في أعماقِكَ
حتى غادرَ مَكَمَّنَهُ
فَتَجَمَّدَ
في جيبِ الأنواءِ
ولماذا
مَزَقْتَ غلالةَ روحِكَ
حتى فَرَّتْ مِنْكَ
عصافيرُ الإشراقِ
وغابتُ في حَمَى نزواتِكَ
أسرابُ الأنعامِ
وهامَ جوادِكَ
في بيدِ الأهواءِ

- ٢ -

والأزرقُ كانَ رفيقَ البدءِ
يُرَتَّبُ أوراقي
ويُهَيِّئُ طقسي
يَسْكُبُ في قلبي إكسيرَ الكشفِ
يُسَلِّحُنِي بالعشقِ
ويُثَقِّفُنِي بالغبطةِ
يوقِدُ مشكاتي
في قيعانِ الظلماتِ

- ٤٦ -

والأزرقُ منذ البدءِ
يصالحني مع أسئلتي
ويُنصّبني
ملكَ الكلماتِ

-هامش-

علّقتُ الأزرقَ في عنقي
نامتُ في حضني الأنسام
حوصرتُ، فأيقظني قلقي
وانهالتُ فوقِي الأيام

- ٣ -

في فجرٍ أغبرٍ
ألقت ريحٌ
في بئرٍ
ببقايا شالٍ أزرقٍ
كان يُلوّنُ برجِي السابحَ
في العَبَقِ العلويِّ
اهتزَّ سكونٌ
واندَفَعَتْ أفواجٌ من غَبَشٍ
لنَدُكَ حواسي
فاختَلَطَتْ خَلْجاتُ الموتِ
بطعمِ غبارِ الطلعِ
بلونِ النهْدِ
بصوتِ دبيبِ الذعرِ

برائحة الأمطار
فخرجتُ أهيمُ على وجهي
أنسلُّ من مدن
تنهارُ أمام السيل
إلى جزر
تنهشمُ تحت سياط البحر
إلى صحراء
يُفتُّها الإعصارُ
لحقتُ بي أشباحُ
تغريني
كي أُنخبأ تحت عباؤها
فَنَفَرْتُ
وسرتُ على طرق تتلوّى
بين حطام النبض
وبين ظلال الوعد
هوتُ فوق شُهْبُ
جرحتُ حلمي
وتجلّى لي شَفَقُ
ينقلدُ سيفَ دمي
فَضَمَمْتُ الليلَ إلى صدري
وهرعتُ إلى أفق
يتخمرُ في أعماق الصخر
ويسري
في نسغ الأزهارُ

- ٤ -

عندَ الطرفِ الأقصى
من سردابِ الرؤيا
لاحَ النجمُ
أنتصبتُ أقواسُ
وانشَقَّتْ حُجُبُ
فَدَعَوْتُ بَراقَ الحبِّ
عَبَرْتُ الخوفَ
هَدَمْتُ اليأسَ
وَقَوَّضْتُ الأسوارَ
وَمَخَرْتُ عُبَابَ الجرحِ
فَشَعَ القلبُ
وَسَالَ الضوءُ
وفاحَ أريجُ الشوقِ
فراحتُ
تعرضُ فتنتها الأشجارُ

- ٥ -

هل كانَ الدربُ طويلاً؟
كنتُ أراهُ
أَقْصَرَ من مرمى أوراقِ الوردِ.
هل كانَ النجمُ بعيداً؟
كنتُ أراهُ
أَقْرَبَ من شفتينِ
إلى صحنِ الخدِّ.

- ٤٩ -

ولماذا طالَ مسيرُك؟
لا أدري... لكني
لم أتجاوزَ نفسي بَعْدُ.

- هامش -

نَبَّتُ في حَقلي الأحجارُ
والتَّفَّ يُطَوِّفُني الشوكُ
سَبَّتُ في أضلاعي النارُ
واستَوطنَ في خَلدي الشكُّ

- ٦ -

عَرَّافُ الدهرِ تَدَمَّرَ
أرخی لحيتهُ
واستسلمَ للهذيانِ
سنَّ السكينِ
وشقَّ غلافَ الظاهرِ
فاندلَّقتُ أحشاءُ الباطنِ
وارتعدتُ أوصالُ الأرضِ
انهارتُ راياتُ
وتدَقَّقَ من جوفِ التاريخِ
دَمٌّ
وعَلَّتْ صرخاتُ الأشلاءِ المطمورةِ
تحت ترابِ النسيانِ

- ٧ -

بينَ الانقراضِ تراءى لي

نهرٌ
ينسابُ على مهلٍ
تتصاعدُ منه
رائحةُ العرقِ البشريِّ
ويسطعُ باللهبِ المسكوبِ عليه
من قمرٍ
يتمرَّغُ في الآهاتِ
على صدرِ الأعشابِ
يضنيه التَّوقُ إلى الرقصِ الأبديِّ
فيرعشُ
مثلَ الدمعِ العالقِ بالأهدابِ
وئكَّلهُ سحبٌ حبلى
بالفيضِ الأولِ
تحملُها
راحاتٌ من أملٍ
ومكابدةٍ
وقلوبٌ تطفحُ بالذكرى
ونفوسٌ يسكرها بوحٌ
فتلامسُ وجهَ الشمسِ
بغيرِ حجابٍ
هل كان النهرُ حقيقياً
أم كان المشهدُ وحيَ سرابٍ؟
يا أزرقُ
لا توصدُ
في وجهي البابُ.

- ٨ -

يا أزرقُ رُوحِي لم تتعبُ
لكني أتعبتُ الجسدا
جَرَبْتُ
سَلَكْتُ شعابَ الريح
هَزَزْتُ نخيلَ الوقتِ
شربتُ رمادَ التيه
ولكني
لم أطفئُ يوماً قنديلي
وبقيتُ أعانقُ الآمي
وأعيدُ حرائةَ أحلامي
كي أكتبها
بمدادِ البرق
على حَبّاتِ القمح
وأذروها
في كل مدي

- هامش -

أعلنتُ بدايةَ تقويمِي
وصبَّغتُ بألواني أفقي
أرْسَيْتُ مراكبَ تهويمِي
وفَتَحْتُ مغاراتِ الألق

- ٥٢ -

- ٩ -

يا أزرق حَوْمٌ فوقِي
طيفَ نهارٍ
يا أزرقُ أشعلْ أوردتي
واحقنْ بوميضِكْ أنسجتي
وارفعْ عن عينيَّ الأستارَ

- ١٠ -

يا أزرقُ
مدَّ بساطَ البحرِ
ودرّ بني
كي أمشيَ فوقَ الماءِ
يا أزرقُ
قربْ سقْفَ الكونِ
وأطلقْ عنقائي
كي تلتقطَ النورَ المتناثرَ
في الأجواءِ
يا أزرقُ
مرّرني في النارِ
وأرشدني للنبعِ
وعلمني الأسماءَ

❖❖❖

- ٥٣ -

قبل المطر

- ١ -

لا بدّ من همس يفوحُ
على ضفاف الصمتِ
فلنفتحْ نوافذنا قليلا
هل بردتِ؟
تذكرني بردائنا المرميَّ
فوق رصيفِ قلبينا
ألا تتذكرينَ سطوعَ شمسِ العري
قولي أيّ شيءٍ
ليس لي أن أشعلَ الفجرَ الذي
يغفو على شفّتكِ
لكّني
أصبُّ على جذوع الليلِ
أسئلتني
لينفطرَ القمرُ.

- ٢ -

لا نارَ في الغار الذي
حَضَنَ أنيثاقَ الشّهقةِ الأولى
ولا أضواءَ
تخرقُ ما تكاثفَ من ضبابٍ

- ٥٦ -

هل عَبَرْنَا البرزخَ المرصودَ
لكن أين أَهْرَقْنَا الوعودَ
وكيف أَخَفَيْنَا فَحِيحَ النبضِ
هل لا يَدُّ من تجريدِ قلبينا
من الرعشاتِ
لا..

لا لستُ أحتملُ النهاياتِ التي
تمحو البدايةَ
فاستعيدي لَفْحَ أنفاسي
وغطّيني
بشلالِ اللهاثِ
لكي نعيدَ قراءةَ الحلمِ الذي
مَا زال يَخْتَرُنُ الشَّرْرَ

- ٣ -

غيبني قليلاً
كي أراكِ
وغَيِّبيني
في مداكِ
تَحَرَّرِي من مَشْهَدٍ
ما انفكَّ يَخْطِفُ من حضوركِ سرَّهُ
وتَفَجَّرِي
حتى نعودَ إلى العماءِ
فتكتبِ الأشياءَ سيرتها
ابتداءً من بهاكِ

- ٥٧ -

تَقْمَّصِي جَسَدَ الشَّعَاعِ
وَحَوِّمِي
حَوْلَ المَدَارَاتِ القَصِيَّةِ
عَرَّشِي فَوْقَ النُّجُومِ
تَغْلُغْلِي فِي الأَرْضِ
والتَّحْمِي مَعَ الأمْوَاجِ
ذُوبِي فِي العَبِيرِ
تَتَأَثَّرِي
فِي كُلِّ مَا فِي الكَوْنِ مِنْ نَعَمٍ
فَمَا هَذَا الوجودُ
سِوَى حَنِينِ الرُّوحِ
لِلنَّبْعِ الذِّي
أَجَرْتُهُ مِنْ عَدَمٍ يَدَاكِ
فَرَّاحَ يَطْفَحُ بِالصُّورِ

- ٤ -

لَا شَمْسَ إِلَّا مَا تَدَقَّقَ
مِنْ سَيُولِ النُّورِ
فَوْقَ ضَفَائِرِ الإِغْوَاءِ
لَمَّا أَشْعَلَتْهَا بِالْبُرُوقِ
أَصَابِعِي
لَا لَيْلَ إِلَّا مَا تَخَبَّأَ
فِي زَوَايَاكَ العَنِيدَةِ
لَا رَوَابِي

- ٥٨ -

غير ما جُنَّتْ لِفَتْنَتِهَا الشَّفَاهُ
ولا سهوبَ سوى التي
تَمْتَدُّ
بين تخوم نهديك اللذين
يُكْوِكان الروحَ حولهما
وبين حدودِ سرتك التي
تَمْتَصُّ ما في الكون من رَغَدٍ
ولا مرجانٍ إلا ما تَضَمَّحَ باليهار
ولا لآلئٍ غيرَ ما انتثرتُ عليه
بعد أن هَذَا الوترُ

- ٥ -

شفتاكِ تختلجان
ها عادَ اليمامُ يطلُّ من عينيكِ
مدِّي لي يديكِ
لنمسحَ الغَبَشَ الذي
غَطَّى المرايا حولنا
هل تشعرينَ الآنَ بالدفءِ
أستعدي
كي نعودَ معاً
وقولي
ان صمتك لم يكنْ
إلا دلالَ سحابةٍ
قبلَ المطرِ.



سجّادة الأيام

على سَجادة الأَيام
أرْمِي جَدْوَةَ القَلْق
ومنْ أغوارِ ليلِ القلبِ
أُبَيِّشُ وَشْمَ داليةِ
تَحَدَّثُ غرْبَتِي بالصمتِ
واتَّكَأْتُ

على قضبانِ نافذتي
لتحرسَ ضحكتي
وتصونَ لي لغتي
وترقبَ عودتي
في موكبٍ من نرجسٍ
يختال
بينَ خمائلِ الألق

أَلُمُّ عن الدروبِ غبارَ أسئلتِي
وأطلقُ في السهوبِ
وعولَ أخيلتي
وأنتشِلُ التفاصيلَ التي ألقِيْتُها
من زورقي
لَمَّا أعتُراني هاجسُ الغرقِ

أَتَوَقُّ إِلَى مَعَارِجِ نَجْمَةٍ
كَانَتْ
تَفِيضُ عَلَيَّ أَسْرَاراً
وَسِحْراً
حِينَ أَفْرَشُ تَحْتَهَا قَلْبِي
وَمَنْذُ رَحَلْتُ عَنْهَا
سَمَرْتُ أَوْصَالَهَا
فِي صَفْحَةِ الْأَفَقِ

وَأَرْشَفُ مِنْ سَمَاءِ الْحَارَةِ الطِّينِيَّةِ
الْفَرْحَ الَّذِي مَا زَالَ
يَسْبُحُ فِي الْهَوَاءِ
مُعَلَّقاً
فِي ذِيلِ طَائِرَةٍ مِنَ الْوَرَقِ

أَزِيحُ سِتَارَةَ الضَّوْضَاءِ
عَنْ تَرْجِيْعِ أَغْنِيَةٍ
تُرْفَرَفُ حَوْلَ رَأْسِي عِنْدَمَا أَغْفُو
وَتَجْرِي فِي عُرُوقِي حِينَمَا أَطْفُو
عَلَى حِمَمٍ
مِنَ الْأَرْقِ

أَحَاوِرُ طَيْفَ وَجْهِ
لَمْ يَزَلْ رَغَمَ الضَّبَابِ

يَبْثُنِي النجوى
نسيماً عندَ مَطْلَعِ كُلِّ فَجْرٍ
أو
شعاعاً حينَ تَرُفُّ غِيمُهُ
بعباءةِ العَسَقِ

أُحَلِّقُ فِي فضاءِ سَقِيفَةٍ
شَهِدْتُ حِمَاقَاتِي
وَأَخَفْتُ أَوَّلَ الهمساتِ
والرِعرشاتِ
وَأَحْفَظْتُ
بسرَّ اللَّطخةِ الحمراءِ
في عُنْقِي

وَأَكْشِفُ فِي الْأَثِيرِ عَنِ ابْتِهَالَاتِ
لأَحْبَابِ
يَلْقَوْنَ الزَّمانَ عَلَى أَصَابِعِهِمْ
لَتَنْبَعِثَ المَواعِدُ الَّتِي رَقَدَتْ
عَلَى أَرْضِ الحَديقَةِ
أو وراءَ السورِ
أو فِي المَنزِلِ المَهجورِ
أو فِي مَوقِفِ الباصاتِ
عندَ تَقاطُعِ الطُرُقِ

أَفْضُ الْخَتَمِ عَنْ صَنْدُوقِ اخْتَبَأَتْ
بِدَاخِلِهِ
رِسَائِلُ لَمْ أُجِبْ عَنْهَا
وَأَكْدَاسٌ مِنَ الصُّورِ الَّتِي أَهْمَلْتُهَا
حَتَّى
كَأَنِّي قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ لَمْ أَرَهَا
وَتَذَكَرَاتُ حُبٍّ
لَمْ تَزَلْ بِالرَّغْمِ مِنْ صَدَأِ السِّنِينَ
تُثِيرُ أَمْوَاجاً
تَرَجُّ مِرَافِيءَ الْحَقِّ

أَرَا جُعْ سِيرَةَ الرِّيحِ الَّتِي غَطَّتْ
مِغَامِرَتِي
بِنَشْرِ سَحَائِبِ الْعَبَقِ
وَلَمَّا غَابَتِ الشَّطَّانُ
وَأَحْتَدَمَ الْحَنِينُ
تَسَلَّلْتُ مِنْ خَلْفِ أَشْرَعَتِي
وَحَلَّتْنِي وَحِيداً
فِي مَهَبِّ الشُّوقِ
أَنْسُجُ رَايَةَ الْعَصِيَانِ
مِنْ دَمْعِي
وَمِنْ عَرَقِي
فَقَلْتُ سَأُخْرِقُ التِّيَةَ الَّتِي وَقَفْتُ
عَلَى أَبْوَابِهِ رُوحِي

إلى أن أستبيح ذراه
ثم أعود مزهواً
لأروي بالأساطير التي حاولتها
أشجار منطلقي

على سجادة الأيام
أرمي جدوة القلق
فهل تبقي لنا الأيام
متسعيناً
سوى الورق؟



الأرواح ترفرف فوق قانا

- ١ -

انْفَجَرَ الضَّوُّ
وَالصَّوْتُ أَفْرَعَ أَحْشَاءَهُ
أَرْتَجَّتِ الْأَرْضُ
سَالَتْ دُمَاءُ الصَّخُورِ
تَنَاطَرَتْ فَوْقَ سَعِيرِ التَّرَابِ
رَمَادُ الشَّجَرِ
كُنْتُ اللَّحْمَ مَمْرُوجَةً
بِبَقَايَا ثِيَابٍ مُضَرَّجَةٍ
دَبَّ فِيهَا النَّسِيسُ
وَأَزَّتْ شَطَايَا الْعِظَامِ الطَّرِيَّةِ
وَأَنْصَهَرَ الْكُونُ
لَكِنَّهُ وَخَذَهُ الْوَقْتُ
رَاحَتْ تَحَاصِيرُهُ النَّارُ
مَنْ كُلَّ صَوْبٍ
وَلَا يَنْصَهَرُ

- ٢ -

كَانَ طِفْلٌ
يَلَاحِقُ أَلْوَانَ أَحْلَامِهِ
يَتَهَجَّى إِشَارَاتِ أَعْضَائِهِ
يَتَلَقَّى الرَّمُوزَ الْجَدِيدَةَ
مِمَّا يَحِيطُ بِهِ

- ٦٩ -

من معالم كينونة غَضَّةٍ
يستعدُّ
ليكشف أسرارها
يتلملُّ منتظراً أن يلامسه
ما يدرك عليه حناناً ودفناً
ويغمره
بالسلام الحميم
لم يكذُّ يتقرَّى
ملاحَ أشياء عالمه
حين دوى انفجار
وعَمَّ الجحيمُ

- ٣ -

عندما أنبثت روحه
كي ترفرف
فوق نثيرات أشلائه
اكتشفت أنها لم تكن وحدها
فالفضاء يعجُّ
بأرواح من غطت الأرض
أجزاء أجسادهم
بعد أن صبَّت الطائراتُ
عناقيدها
هرعت روح أم
وراحت تُهدئ
من روع روح الرضيع

- ٧٠ -

فقال لها:
-لا تخافي.. أتركي الأرضَ
وانطلقِي
في شعابِ السماءِ القريبةِ
لكنَّ روحَ الرضيعِ التي
أذهَلَتْها المشاهدُ
راحت تُغْمِغُمُ واجفةً
-كيف تجري الفضائُ
تحتَ السماءِ
ولا تَنَدَخُلُ
ثم نعوذُ لنزعمَ
أنَّ السماءَ قريبةُ

- ٤ -

غَضِبَتْ رُوحُ شَيْخٍ
وصاحت:
-لماذا نُحْمَلُ أخطاءنا
للسماءِ التي طَلَبَتْ
أن نُعِدَّ لهم ما اسْتَطَعْنَا
ونحنُ الذين أشحنا الوجوهَ
ورحنا نشاغلُ أنفسنا
بالبهارجِ
يا ليت إخوتنا الآنَ يعتبرونَ
ولكن روحاً لشاباً صغيراً
أضافت:

- ٧١ -

-رويداً
فإخوتنا مثلَ إخوة يوسفَ
ينتظرون نهائيتنا
كي ينالوا فتاتَ الموائدِ
حين تُمدُّ احتفالاً
بإيداعنا
متحفَ الكائناتِ الغريبةِ

- ٥ -

سألتُ روحُ بنتٍ:
-لماذا الجدالُ
فها نحنُ نُلنا الشهادةَ
والآنَ حقٌّ لنا أن نغادرَ آلامنا
ونطيرَ
إلى حيثُ يُنعمُ أمثالنا
بالخلاصِ الأخيرِ

- ٦ -

اعترضتُ روحُ أمّ:
-وأبناؤنا
هل سنتركهم
لا هثينَ وراءَ السرابِ
ومستسلمينَ لبئسِ المصيرِ
-لا
-فماذا إذن

- ٧٢ -

-سوف نبقي هنا

-٧-

سوف نبقي هنا
سنطوف فوق السهول
وحول الجبال
وبين البراري
نمر مع الضوء
ندخل بين شقوق التراب
نسيل مع الماء
ننفذ بين ثنايا الهواء
نجوب الدروب
نزور البيوت
نرفرف فوق الأسرة
نجلس حول الموائد
نقبع بين الممرات
نقرغ بلور كل النوافذ
نطرق أبواب كل الغرف
سوف نبقي هنا
لنعلق فوق بروج اليمام
سيوف الشرف

❖❖❖

- ٧٣ -

الجرّة المكسورة

يذكرُ الآنَ تماماً
كانتِ العينانِ حَبْلَيْنِ مِنَ الزَّرْقَةِ
ممدودين من شرفتها
لكِنَّهُ في غمرَةِ الروعةِ
لم يمسكْ سوى
خيَطِ الدخانِ
يذكرُ الآنَ تماماً
فاحتِ الزَّرْقَةُ
حتى ثملَ الكونُ
وأخفَّتْ وجهَهَا الأيامُ
كي تهربَ
من دورةِ دُولابِ الزمانِ
يذكرُ الآنَ تفاصيلَ المكانِ

يذكرُ الحارةَ
والمدخلَ..
والوردَ الذي مالَ على البابِ
وأغفى
فوقِ راحاتِ الحنانِ

يذكرُ الشَّبَاكُ
سورَ الياسمين
الحائطَ المغمورَ بالعطر
حفيفَ النسمةِ الجذلي
عمودَ الكهرباء..
السلكِ..
والمصباحِ
والضوءَ الذي أنداحَ
على كومةِ أحجارٍ
فشعَّ الكهرمانُ

يذكرُ الآنَ غصوناً
هزَّها الوجدُ
وأوراقاً
هوتَ في نشوة السكر
وأزهاراً
بدتْ في فلكِ الغبطةِ
أقمارَ جمانُ

يذكرُ العشبَ الذي صَفَّقَ
والطيرَ الذي رَفرفَ
والغيمَ الذي حيَّاهُ عن بعدٍ

بتلويحة حبّ
والفراشات التي نَبَّهَها الهمسُ
فراحت
ترتدي أثوابها البيضَ
وتدعو النورَ كي يمنحَها
رقصَتَهُ الأولى
أمام المهرجانِ

يذكر الآن الأمانى
والأغاني
والحكايات التي خبَّأها
في جَرَّةٍ ألقى بها
في قاع أحلام الصبا
مَنْ كَسَرَ الجَرَّةَ
مَنْ أَيْقَظَ فيه
لوعة العمر
وَمَنْ أَضْرَمَ نار الهديان؟

هبَّ من رقدته
كان على الشباكِ نَقْرُ
وعلى السطح ضجيجُ
ووراء البابِ

أصواتُ خُطأٍ تسرُعُ
هل فاتَ الأوانُ..؟

جَرَّ رجليه إلى طاولةِ المكتبِ
وانكَبَّ على دفتري
يرسمُ فجراً أزرقَ العينين
يأتيه
على صهوةٍ وعَدٍ
طالع
من شَفَقِ الذكري
ومن عاصفةِ الشوق
وبرقِ العنفوانِ

أغلقَ الدفترَ..
والبابَ..
وغطى الجرةَ المكسورةَ
أنسلَّ إلى الشارعِ
وانضمَّ
إلى الحشدِ الذي يركضُ..
كانَ الوَحْلُ
في كلِّ مكانٍ



المجذاف

- ١ -

لا يتركُ المجداف
عيناهُ على الأفق البعيدِ
وقلْبُهُ يَتَصَيَّدُ الأَقْمَارَ
حينَ تطلُّ من شرفاتها
مفتونةٌ
بالزورق المحمول
فوق مناكبِ الأمواج
في عرسِ الرحيلِ
أحزائه تُدْفِ
يُبْعِثُهَا رفيفُ غامضٍ
ورؤاهُ أسرابُ نُحُومٍ
في فضاءاتِ الذهولِ
كلماتُهُ ترعى إشاراتِ المدى
وتعْبُ من قطرِ الندى
لترشَّ أهدابَ الفصولِ

- ٨٤ -

- ٢ -

لا يتركُ المجدافَ
يَعْبَثُ بالرداذِ وبالزمانِ
يعاكسُ التيارَ والأحلامَ
يلهو
بأنكسارِ الضوءِ والرغباتِ
يَحْتَضِنُ انفجاراتِ الكواكبِ
والمشاعرِ
يحتفي
بأشعةِ الشمسِ التي
تُقْضي إليه بسرَّ نشوتها
إذا استلقتْ على جسدِ الأصيلِ
يحنو على نجمِ هوى
من برجهِ
فَتَلَقَّعَتْهُ حمامةٌ بجناحها
حتى أستكانَ
فراحَ يلهجُ بالهديلِ
ويذوبُ وجداً
إنْ رأى برقاً
يُراودُ غيمةً عن نفسها
حتى تفيضَ
فتغمر الدنيا بأفراحِ الهطولِ

- ٨٥ -

ويطيرُ خلفَ نوارسٍ
سئمتُ رتابةَ عالمِ الشيطانِ
فأنطَلَقْتُ
نَفْسُ
عن بديل

- ٣ -

لا يتركُ المضافَ
كان بوسعِهِ أن يستكينَ
إلى الهدوءِ
وأن يُروِّضَ روحَهُ
كي تستطيعَ العيشَ في دِعةٍ
وكانَ بوسعِهِ
منذ البدايةِ
أن يُهيِّئَ نَفْسَهُ
للنومِ في قبرِ السهولِ
لكنَّهُ اختارَ الحياةَ
ولا حياةَ
إذا تَقَمَّصَ جلدَ حرباءٍ
ورأسَ نعامةٍ
وأرتاحَ في ظلِّ النخيلِ

- ٨٦ -

- ٤ -

منذ البداية كان في أعماقه
مهرٌ جموحٌ
لا يكفُّ عن الصهيلِ
وفراشه حمقاء
لا تهوى سوى لمح الجمال
ولو تحبًّا
في جفون المستحيلِ
وبراعم تزهر
بأنَّ يفاعها الأبدى
لا يخشى النوائبَ
أو يهدده دُبولُ
وجرارُ أحلامٍ
إذا انسكبتْ على الجوزاء
أغرقتِ المجرةَ
بالسيولِ

- ٥ -

منذ البداية
كان يعرفُ أنَّه
من نسلِ ريحٍ
لا يقرُّ لها مقامٌ

- ٨٧ -

أو تحدّدُها تخوّمُ
أو تسيرُ على دليلٍ
لا ينتمي
إلا إلى النور الذي
يتخلّلُ الأشياءَ
يكشفُ سرّاً جوهرَها النبيلُ
أقرانه:
البحرُ الذي لا يعترّيه الضيقُ
والنارُ التي لا تستضيءُ
بغيرِ وهجِ فؤادِها
والليلُ
حينَ يضمُّ أضدادَ الورى
في ثوبه الداجي الجليلُ

- ٦ -

منذ البداية
كان يبحثُ عن سبيلٍ
ليقولَ ما يحيا
ويحيا
ما يقولُ
فأستلّ مجذافَ الكلامِ
من الصدى ومن الركامِ
وراحَ يبحرُ في شرايينِ الوجودِ
مُيمّماً

- ٨٨ -

شَطْرَ الْأَصُولِ

-٧-

لَنْ يَتْرَكَ الْمَجْذافَ
ما زالت دروبُ حياته حبلَى

فكيفَ يغيبُ عنها
أو
يُغَيِّبُهَا
بتعجيلِ الوصولِ.

❖❖❖

المحتوى

٥	مقدمة
١٥	منمنمات
١٧	الصوت
١٧	السنديانة
١٨	شارع
١٨	شراره
١٨	الزرقه
١٩	صورة
١٩	حريق
٢٠	الموج
٢٠	الروح
٢١	الجدار
٢١	كمين
٢١	الإعصار
٢٢	رسالة
٢٢	الينبوع
٢٣	ندم
٢٣	صعود
٢٤	الشرنقه
٢٤	عش
٢٤	هلاك

٢٥	 النهر
٢٥	 بوح
٢٦	 الرحيل نحو الصفير
٣٦	 مدارات الوصل
٤٣	 السيرة الزرقاء
٥٤	 قبل المطر
٦١	 سجادة الأيام
٦٧	 الأرواح ترفرف فوق قانا
٧٥	 الجرّة المكسورة
٨٢	 المجذاف



صدر للشاعر

- ١- البوابة والريح ونافذة حبيبيتي
شعر- دمشق- ١٩٧٧
- ٢- جدلية الموت والالتصاق
شعر- اتحاد الكتاب العرب- ١٩٨٠
- ٣- ضفاف المستحيل
شعر - دمشق- ١٩٨٦
- ٤- حرائق الندى
شعر- وزارة الثقافة- ١٩٩٤
- ٥- غابة الصمت
شعر- وزارة الثقافة- ١٩٩٥



رقم الايداع في مكتبة الأسد - الوطنية

: - :
-
.
- , -
-
/ / -

□

هذا الكتاب

قصائد من شعر اليوح الذاتي والمناخات النفسية، تعبر عن رحلة خيالية في الهواجس والعواطف، ما إن تلتصق بالواقع وانكساراته وهمومه، حتى تفر منه إلى دينواتها الخاصة المشبعة بالتجنيد والانطلاق شأن كل شعر خلاق لكنها من ناحية أخرى تمتلك أدواتها الناضجة في التعبير المتألق عن تجل من تجليات الحداثة الشعرية يكمن في مقدرة إبداع لغة متجددة وإقاع موسيقى في منتهى الانضباط والجاذبية والتأثير.